

أول ضوء

23 يونيو 2008

أستاذي رءوف عباس

د. محمد السيد سعيد

عرفت الدكتور رءوف عباس كمفكر وباحث مرموق منذ كنت في المرحلة الثانوية، وقرأت له كتابه عن تاريخ الحركة العمالية المصرية. ولكن لا شيء، ولا بخت في الدنيا، أحسن من أن تعمل معه.

تمتعت بالتلمذة المباشرة علي الدكتور رءوف عباس منذ عام 1976، وخلال أكثر من ثلاث سنوات وجدت فيه إجابة مشرقة عن سؤال: كيف يحفظ الإنسان عهده مع وطنه وشعبه ويكون في الوقت نفسه باحثاً أميناً وعالماً، لا يجرح شيء نزاهته.

الدكتور رءوف هو سليل مدرسة مصرية تقدمية في التاريخ. وهو سريعاً ما أصبح أبرز أعمدة هذه المدرسة، بعد أن فقدنا أستاذ الأساتذة المؤرخ العظيم الدكتور محمد أنيس، وانتهى الصالون الذي كان يعقده بمنزله، والذي تربي فيه جيل كامل من المؤرخين والباحثين المصريين.

الدكتور رءوف هو أصفي من حمل ونقل تقاليد التأريخ الاجتماعي كما دعا لها الدكتور أنيس. ولا تزال كتبه ودراساته عن تطور ومشكلات الطبقة العاملة المصرية، هي المثال الحي للالتزام الاجتماعي للمؤرخ العالم. أما مذكرته "مشيناها خطي" فهي الأقرب للوجدان. ولكني أعتبر دراسته عن تاريخ جامعة القاهرة، أصفي كتبه من حيث الرؤية والتنقيب عن الحقيقة.

أرخ الدكتور رءوف لكارثة "تطهير" جامعة القاهرة من عدد كبير من أبرز علمائها ومفكرها وأساتذتها، لأنهم كانوا من الإخوان المسلمين أو من الماركسيين. وفي رأبي أن هذا "التطهير"، كان بداية الفساد الأكاديمي والانهيار التعليمي والتدهور الأخلاقي للهيئة التعليمية، والتراجع المؤسسي لجامعة القاهرة، ومن ثم بقية الجامعات المصرية.

ولذلك فإن حركة 9 مارس التي تطالب بإنقاذ الجامعة ذهبت إلي الجذور. وهي في رأبي أشرف الحركات الاجتماعية المصرية الراهنة طراً. ولكنها أيضاً أكثرها وعياً بطبيعة وجذور المشكلة: أي إهدار استقلال الجامعات. ويعود جانب مهم من الصفاء الذهني لهذه الحركة إلي الدور المهم، الذي قام به الدكتور رءوف عباس في بحث أسباب وتداعيات هيمنة الدولة علي الجامعات بدءاً من حملة التطهير عام 1954.

من أهم إضافاته لمدرسة التأريخ الاجتماعي، التأكيد علي العلاقة الحية بين الالتزام الأخلاقي للباحث وكشوفه. إن أخلاقية الدكتور رءوف هي التي حمته من الوقوع في الأيديولوجيا أثناء بحثه. فلا يمكن للباحث الأمين، سوي أن يحمل ثورة يوليو مسؤولية القضاء علي استقلال الجامعات. ومع توجيه هذا النقد، فهو يحمل تقديراً كبيراً للإنجاز الاجتماعي وللاثر الوطني لهذه الثورة.

تحياتي لأستاذي الذي تعلمت منه بالممارسة.

mohamedsaid07@hotmail.com

http://www.elbadeel.net/index.php?option=com_content&task=view&id=23309&Itemid=151